مختارات اسلامية

٢

من البعثة الى الدولة

٦١٠ — ٦٢٢ م

عبد الهادي الفضلي

مختارات اسلامية

٢

من البعثة الى الدولة

٦١٠ — ٦٢٢ م

عبد الهادي الفضلي

مطبعة النعمان — في النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا

من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي

ضلال مبين .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو الكتاب الثاني من (مختارات اسلامية) التي عزمنا بعون الله تعالى على الاستمرار فى اصــدارها ، يحدونا الأمل ، في أن نوفق بها الى الاسهام فى نشر الثقافة الاسلامية ، والوعي الاسلامي بين أبناء امتنا الاعزاء وقد سرّنا ؛ وشجعنا كثيراً مااستقبل به الكتاب الأول - من قبل القراء الكرام - مما دل بصورة واضحة ، على أن المسلم بدأ يدرك - ان في اسلامه الحياة السعيدة التي يطمح اليها ، ويسعى في سبيلها .

«ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم» . (١)

ونحن نعاهد - قراءنا الكرام - على أن نقدم لهم ضمن

---

(١) الانفال آية ٢٤

هذه الكتب الصغيرة التي لاتكلفهم في الوقت ولا في الثمن - غذاء فكريا صالحاً - لكتاب عرفوا بالنضج والاخلاص في مجال الدعوة الاسلامية وفي هـــذا الكتاب يقدم لنا الكاتب تاريخاً موجزاً للدعوة الاسلامية ، خلال الفترة التي أشار اليها العنوان (من البعثة الى الدولة) وهي فترة من الضروري للمسلم الواعي ، أن يتعرفها ويلم بها ليفيد من تجاربها ، ويستلهم من أرواح دعاتها ، العزيمة والقوة .

ولقد كانت من الكاتب التفاتة موفقة حين أجاب عما قد يحصل من تساؤل بعد قراءة - تاريخ الدعوة - ما إذا كان علينا أن نلتزم نفس الطريقة التي سار عليها النبي صلى الله عليه وآله أم لا .

فقد أوضح الكاتب من ناحية فقهية ، الجواب على هذه المسألة ، ونرجو من الله سبحانه أن يفيد بها ، وهو ولي التوفيق .

الناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

* * *

الدعوة الاسلامية ينبوع ثر العطـــاء ، يفتح منافذ التفكير على أنواع من الوسائل ، وعلى الوان من الاساليب ، تتميز بالاستقامة والاتزان واليقظة . . ويمد العاطفة بطاقات التأثير المتأججة الى الدفع نحو العمل والتضحية في سبيل الانسانية ومن أجل حقوقها وكرامتها . . ويضع يد المجاهد على قدسية الأمل متى أخلص النية للحق . . ويريه عظمة الايمان بوعد الله ـ تعالى ـ بالفوز والنصرة في مفعوله ونتائجه . . وينشر امامه آفاق الحياة بمختلف اجوائها وشؤونها قريبة المنال وطيعة القياد . . ويشعره لذاذة الجهاد دون المبدأ

ويحسه نشوة انتصار الانسان للكرامة . . ويغذيه روحانية المناضل عن الانسانية ومن أجل خيرها .

كل اولئك نلمسه حينما نعيش بعقولنا وعواطفنا اجواء الدعوة الاسلامية بوعي واحساس ، فيتجسد قائدها الاعلى محمد ﷺ في كياننا ، بمختلف مجالاته ، وبخاصة آفاق الدعوة وميادينها .

وفي عقيدتي : ان هذا اللون من الاحساس بالدعوة الاسلامية ، وان هذا النوع من النظرة اليها لا يتأتيان الا للذين يدخلون تاريخها المشرق بذهنية الدعاة المجاهدين ، وبروحية المسلمين المؤمنين ، وبوعي من يدري كرامة الانسان ، ويتفهم مسؤولية الحياة .

وهو شيء قد لا نراه يعيش حياتنا العامة حينما يقرأ تاريخ الدعوة الاسلامية المقدسة ، وحينما يتلى في المناسبات الموسمية المختلفة ، لاننا لم نعد في ذهنيتنا العامة نحمل القاعدة الفكرية الاسلامية ، نتيجة اننا نعيش الاطار

الاجتماعي المعاصر، الذي يحتوي في أكثر جوانبه وخصائصه الحضارة اللا اسلامية.

أما في الذهنية الخاصة ـ وأقصد بها ذهنية الدعاة المسلمين ـ فالوعي الاسلامي يقطع (الآن) أدوار نموه وتكامله، ليشق طريقه الى دور النضج، وذلك حينما يتكامل ويتم في اطاره السياسي فكرياً وعاطفياً .. ولأجله عادت دراسة تاريخ الدعوة الاسلامية ضرورة ملحة، تتطلبها طبيعة الواقع الاسلامي الناهض، لاستثمار عطائها: في الافادة من تأثيرها النفسي والعاطفي، وفي التعرف على وسائلها وأساليبها وفي استملاء روحانيتها .

وفي رأيي: ان على الداعية الاسلامي ان يرتبط دائماً بالدعوة الاسلامية، يستمد من روحانيتها، ويتغذى بمعطياتها، ويسترشد هديها .

* * *

وهنا أود أن أشير الى الرأي حول الالتزام باسلوب

الدعوة الاسلامية الأولى (سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في دعوته):

تذهب بعض الدعوات الى عدم وجوب الالتزام باسلوب الدعوة الاسلامية الأولى ، بينما يذهب بعض آخر الى وجوب الالتزام باسلوب الدعوة الاسلامية الاولى (١) .

والذي يستفاد من الآية الكريمة الواردة في موضوع الدعوة الى الاسلام ، امثال : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » (٢) . « وأدع إلى ربك انك لعلى هدى مستقيم » (٣) .

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة

---

(١) يقرأ : مفاهيم حزب التحرير (بغداد مطبعة التفيض ١٣٧٣) الطبعة الثالثة ص ٦٦ ، ٦٧

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل .

(٣) الآية ٦٧ من سورة الحج .

وجاهدوا في سبيل الله لعلكم تفلحون » (١) .

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » (٢) .

« انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٣).

هو وجوب الدعوة الى الاسلام ، والالزام بالعمل من أجل ذلك دائماً ، وببذل أقصى درجات الجهد ، وأبلغ حدود الطاقة فكرية وعملية ، في اتخاذ أكثر الطرق نجاحا وأوصل الاساليب الى تحقيق الهدف ، شريطة إلا تتنافى مع سائر الأحكام الاسلامية الثابتة .

---

(١) الآية ٣٥ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج .

(٣) الآية ٤١ من سورة التوبة .

ووضع هذه القاعدة الشرعية بهذا الشكل العام ، وبهذه اللغة الرائعة المطلقة والمجردة عن أي تفصيل ، وعن تعيين أي اسلوب أو أية طريقة ، فلأجل أن تكون قاعدة عامة تنطبق على كل زمان ومكان ، فتواكب الاجيـــال وتساير العصور .. لأن تحديد الاساليب وتعيين الوسائل مما تفرضها - في الواقع - طبيعة ومقتضيات الظروف الزمنية والاجتماعية للدعوة أية دعوة .

وسيرة الرسول الاعظم ﷺ في الدعوة - على ضوء الحكم المستفاد من تلكم الآيات المباركة - ليست سوى مثل اعلى لامتثال الحكم الشرعي في اسلوب الدعوة وليست حكماً الزامياً لايحاد عنه ، لأن العمل وحده (عمل النبي أو المعصوم) لا يدل على الوجوب وإنما يعينه متى اقترن بنص لفظي يدل عليه .

وعلى ضوء هذا الاستنتاج : فالقاعدة - إذن - تبقى هي

القاعدة الأولية .

وربما يقال لأسباب قد لا تكون مبررة أمام الواقع المعاش: علينا أن نحافظ على أساليبنا القديمة ، ولا بد من ذلك .

ولكن من اين تحتمت هذه اللابدية ؟!

ومن الذي قررها ؟!

هل هناك شيء وراء طبيعة الظروف ؟ . .

ان طبيعة الظروف الراهنة تحتم علينا ـ نحن المسلمين وبخاصة الدعاة منا ـ اقتحام كل مجال ، واتخاذ أي اسلوب يرتضيها الاسلام ، واستثمار كل مناسبة معطاء (١) .

* * *

وبعد : رأيت أن أدون فى آخر هذا المدخل للحديث

---

(١) يقرأ : عبد الهادي الفضلي ، اسلوب الدعوة الى الاسلام ، الاضواء ، السنة الأولى (النجف : مطبعة النعمان ، ١٣٧٩ - ١٣٨٠) ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

عن الدعوة الاسلامية القديمة بعض الملاحظات أو الخواطر العابرة حول تاريخها المدّون في حدود ماقرأت منه :

لم تؤرخ كتب السيرة - وبخاصة القديمة منها - لكل حوادث الدعوة الاسلامية في مختلف مجالاتها وأدوارها تأريخاً يجمع شتى صورها ويستوعب جميع تفصيلاتها، ويستعرض كل جوانب الحادثة الواحدة، ويربط بين الحادثة والاخرى في الأسباب والنتائج، ويسلسل بين الحوادث في مواقعها من الزمن والاعوام، كشأن مانلمسه في بعض التاريخ الحديث . . وربما كان المؤرخون القدامى يعذرون في ذلك بحكم طبيعة تطور الدراسات التاريخية، ولاسيما وهم نتاج بيئات لها خصائصها والوان نشاطاتها المحدودة .

وظاهرة ثانية نلمسها في تاريخ السيرة هي عنايته بالجانب الجهادي (العسكري أوالحربي) من حياة الدعوة الاسلامية أكثر من عنايته بالجوانب الاخرى ولعل طبيعة حياة العرب حينذاك تبرر طغيان هذه الظاهرة .

وظاهرة ثالثة نراها في تاريخ السيرة أيضا هي أثر شخصية المؤرخ والعوامل التي صاغتها والمجال الذي دوّن فيه وقائع السيرة ، والعوامل التي من وراء قلمـــه . . أثر كل اولئك وتأثيره في محتوى العرض وفي اسلوبه .

وغيرها من الظواهر الاخر . . مايوقف الباحث امام مبعثرات ومتفرقات يحاول أن يلم شتاتها ، وأن يوفق بينها ان ساعده التوفيق ، وأمام مفارقات ونقائض يحاول أن يمحصها نقداً وأن يقيسها منطقياً في اطار منهجه في البحث وبالاخرة امام نتائج تاريخية لاتعطيها الحادثة مستقلة ، يجهد في التعرف عليها وفي استنتاجها في ضوء مجموعة الحوادث ككل ، وفي اطار ظروفها وملابساتها .

* * *

من واقع تاريخنا الاسلامي هذا ، سأعرض بشيء من الايجاز مراحل وأدوار الدعوة الاسلامية التي قطعتها ومرت

بها خلال الفترة من البعثة الى الدولة أي مدة ثلاثة عشر عاما تقريباً . . وأنا أعلم أنه عرض مقتضب خاطف ، ومبرري ماقدمته قبل قليل ، إلا أنه في واقعه المعروض يرسم صورة مصغرة لتاريخ الدعوة في تلكم الفترة ، وأظنها تحمل الكثير أو الاهم من عوامل تاريخ الدعوة آنذاك .

مراحل وأدوار الدعوة الاسلاميه

أن الحصيلة التي استثمرتها وفق منهجي في البحث : هي أن الدعوة الاسلامية مرت خلال الفترة المذكورة بمرحلتين : سرية وعلنية ، وعشرة أدوار ، اثنان منها مرت بها في مرحلتها السرية ، وثمانية في الثانية . .

وتتلخص بما يلي :

المرحلة السرية

بدء الدعوة :

كان بدء نزول الوحي على النبي (ص) حينما كان يتعبد في (غار حراء) (١) في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك سنة (٦١٠ م) بالقرآن الكريم ، يحمله مسؤولية تبليغ رسالة الله تعالى إلى البشرية كافة ، وكان أول ما هبط به الوحي من القرآن الكريم الآي التالية :

---

(١) غار حراء : « هو كهف صغير بأعلى جبل حراء ، في الشمال الشرقي من مكة ، على نحو ثلاثة أميال ، في مكان منقطع عن العمران ، خال من النبات والزرع ، يمشي السائر اليه نحو ساعتين ، ويصعد ، نحو ساعة ، حتى إذا ـ

« بسم الله الرحمن الرحيم. إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق . أقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم)

وقد كانت هذه الآيات السامية افتتاحا رائعا يلتقي وحقيقة

— وصل اليه وجده كهفا موحشا رهيبا ، يزيد في وحشته ظلامه الشديد ، وبعده النائي ، وعزلته عن الناس ، ووعورة الطريق اليه ، إذ هو يقع على مقربة من القمـــة ؛ خلف صخرتين عظيمتين تقومان عند مدخله ، لايخلص الداخل منهما — مهما كان نحيفاً — الا بعد مشقة وجهد ، لشدة مابينهما من تقارب واتصال ، فاذا تخطاهما وجد الغار من ورائهما داخلا في الجبل ، محجوباً عن كل ماحوله بالصخور الضخمة ، ووجده أشد من كل مافى الجبل عزلة ورهبة ، يسوده الظلام الحالك ، ولايتسع لأكثر من شخص واحد ، ينام فيه نوما جافيا خشنا » ص ١١٨ و ١١٩ صور من حياة الرسول

الانسانية تمام الالتقاء فى جميع مقوماتها وخصائصها الرئيسية: الفكر ، العلم ، الوحدة الانسانية الشاملة ، والمرتبطة بآصرة الاخوة الانسانية ، وبالصلة بأقوى وأقدر وأقهر قوة فى الوجود وهو الله تعالى .

افتتاحا رائعاً يلمس الانسان فى أول لحظة من الدعوة واقعه الأنساني ويضع يده على نقطة الانطلاق الى الخير والسمو والعزة ، وبأول كلمة فى دستور الدعوة . . (اقرأ) فـ « لم تكن (قاتل) ولم تكن (اغتن) ولم تكن (سيطر) لأن الاسلام ليس دين قتال ، ولا دين مال ، ولا دين سيطرة وسلطان ، ولكن الاسلام دين العلم والفكر والهدى .

(اقرأ) لا باسم ملك ولا أمير ، ولا باسم حزب ، ولا باسم شعب ، بل (باسم ربك) ربك (الذى خلق) ، لم يقل الذى خلق قريشاً ، ولا الذى خلق العرب ، بل الذى خلق

الخلق جميعاً لأن دعوة محمد (ص) الى الخلق جميعاً »(1)

١ - تهيئة قوى الدعوة :

غادر النبي (ص) غار حراء يحمل رسالة الله الى الانسان رسالة السماء الى الارض، الى البشرية المعذبة ليرفعها من مهاوي الشرور والذلة الى قمم الخير والعزة والسعادة .

وكان اسلوبه في البداية - مثل اسلوب أي دعوة تضع النجاح نصب عينيها - هو تهيئة واعـداد مقومات الدعوة من أجل الوصول الى الغاية ، والتي تعد بالقوى الثلاث ، (الفكرية والمالية والاجتماعية) ، ويعني بها : أن يكون للدعوة عناصر من أفرادها يحملون ثقافتها ، ومفاهيمها وأفكارها ، بشكل معمق ومركز ومنظم ، يمثلون الركائز والاسس في بنيتها وكيانها ، وأن يكون لديها الرصيد المالي

(1) علي الطنطاوي، من نفحات الحرم ص ١٣٩ .

الكافي لما تحتاجه في أداء مهمتها ، وأن يكون لها سند من شخصيات اجتماعية تتمتع بمكانة مرموقة وعالية في المجتمع تسندها وتقيها غوائل أعدائها من المجتمع .

فكان السند المالي أو القوة المالية هي زوج النبي (ص) خديجة (ع) إذ كانت أول مسلمة ، . وربما كان اختيار النبي (ص) لخديجة بالخصوص لاستعدادها للمهمة، ولاعداد النبي اياها لهذه المسؤولية قبل الدعوة .

وكان السند الفكري أو القـــوة الفكرية الامام أمير المؤمنين عليه السلام إذ كان أول مسلم ، وكان اصطفاء النبي اياه يفرضه عليه واقع الامام عليه السلام لأنه نشأ في كنفه وتوجيهه ، مما كون منه شخصية خالصة من أي راسبة لا اسلامية تعرقل سير الدعوة أو تقف دون تكوين شخصيته (ع) اسلامية كما يشاء النبي (ص) ، . يضاف اليه استعداده الفطري الكامل في جميع مواهبه وقواه .

كانا يخرجان - فيما يحدث الرواة - خارج مدينة مكة فى الشعاب والأودية والمنعطفات النائية وراء الجبال والآكام، ويقضيان المدة الطويلة ، يتلقى الامام خلالها ثقافة الدعوة ، ويتغذى بروحها وروحانيتها ، ويتعرف على أساليبها ومناهجها وغاياتها ، حتى أعد الاعداد التام ، وهيء التهيئة المتامة للقيام بدور السند الفكري ومهمة الحجر الاساس والقاعدة الأولى فى بناء الدعوة وكيان الدولة .

وكان السند الاجتماعي أو القوة الاجتماعية أباطالب عليه السلام عم النبي وكافله ، إذ كان ثالث المسلمين (١) ، وكانت طبيعة مكانته الاجتماعية والدينية التي تتمثل في سدانة الكعبة وطبيعة الدعوة ، وظروفها، تفرضان عليه أن يكتم إسلامه ويتخفى به بغية تحقيق هدفه والقيام بمهمته من نصرة النبي (ص)

---

(١) لي رأي في اسلام أبي طالب ثالثاً بعد خديجة وعلي (ع) ارجو أن اوفق لنشره .

واسناد الدعوة ، لأنه متى عرفت قريش اسـلامه جعلته في الطرف المقابل لها مما ينهي به الى خسران المعركة ، والاخفاق في أداء مسؤوليته .

٢ ـ خارج نطاق الثالوث المقدس :

وبعد أن أنهى النبي (ص) مهمة الدور الثاني باسلام واعداد قوى الدعوة التي تمثلت : فكرية في شخصية علي عليه السلام ومالية في شخصية خديجة (ع)، واجتماعية في شخصية أبي طالب (ع) ، اتجه يدعو الناس الآخرين سراً خارج نطاق علي وأبيه وخديجة عليهم السلام الثالوث المقدس ، والسابق الاول الى الاسلام .

وتتطلب منهجة البحث ان أعرض تعريفاً عن مجتمع مكة وطبقاته آنذاك بغية التعرف على ظروف الدعوة ومدى ومقدار انتشارها في مرحلتها السرية :

كان المجتمع المكي طبقياً وواسعاً في طبقيته ، ومنقسما

إلى ثلاث طبقات هي : ـ

١ ـ طبقة الاعلياء : وتتألف من سادة قريش وزعمائها وذوي الثراء والجاه .

٢ ـ طبقة الارقاء : وتتألف من العبيد والاماء المسترقين.

٣ ـ طبقة الاحلاف : وتتألف من القبائل العربية المستضعفة المحالفة لقريش ومن الافراد غير العرب الموالين لقريش .

وكانت طبقة الاعلياء تعامل الطبقتين الاخيرتين معاملة قاسية جافية ، وبخاصة طبقة الارقاء .

في ضوء هذا التقسيم ، وفى ضوء معرفتنا للدعوة الاسلامية فى طابعها ، فى مناهجها وغاياتها ، وانها من ناحية عقائدية تدعو الى عقيدة التوحيد المناقضة لعقيدة الشرك وعبادة الاصنام التي اكسبت قريشا بصورة خاصة ، وطبقة الاعلياء بصورة عامة مكانتها الدينية والاجتماعية بين العرب ،

وبخاصة فى مجتمع مكة . . وانها - اعنى الدعوة - من ناحية تشريعية تدعو الى العدالة الاجتماعية وإلى المساواة فى المعاملة والحقوق الانسانية ، فعندها (الناس سواسية كأسنان المشط . . لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . ولا لأبيض على أسود) ، وتدعو الى الغاء وعدم اعتبار أي فارق أو امتياز لايقوم على أساس انساني منطقي مقبول أمثال : القبيلة والقوم واللون والمهنة وما شاكل ، والى اعتبار التقوى والاخلاص فى العقيدة والفعالية الاسلامية مقياسا فى التفاضل والمنزلة الاجتماعية (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) .

في ضوء هذين يكون أفراد طبقة الارقاء اكثر استجابة للدعوة فطبقة الاحلاف .

استمرت سرية الدعوة حتى سنة (٦١٣ م) دخلها أثناء هذه الفترة الممتدة إلى ثلاث سنوات أربعون شخصا رجالا ونساءاً ، ه اكثرهم من المستضعفين والفقراء

وأقلهم من الاشراف والسادة » (١) .

وكانت تتخذ من الشعاب والاودية والاماكن البعيدة عن أنظار الناس مواضع ومحالا لاجتماعاتها السرية ، يقيم فيها الدعاة صلاتهم ، ويتلقون ثقافة الدعوة وشريعة الحق ، ويتعرفون على أساليب العمل من أجل نشر الاسلام ، حتى عثر عليهم من قبل جماعة من المشركين ، انكروا عليهم عملهم الاسلامي هذا ، وقاتلوهم ، غير أن ربح المعركة كان للمسلمين فقد شج رأس أحد المشركين فكان أول دم وكان أول اصطدام بين المسلمين والمشركين ، مما كاد أن يؤدي بالدعوة إلى كشفها .

فانتقل الدعاة الى دار (الارقم ابن أبي الارقم) - وهو من سادات قريش السابقين إلى الاسلام - اختارها

---

(١) أمين دويدار ، صور من حياة الرسول « القاهرة : دار المعارف بمصر » ص ١٣٨ .

رسول الله (ص) مجتمعا سريا ، وملتقى لهم، تجنبا لمواقف الصدام بينه وبين قومه . . وتقع ـ كما يذكر المؤرخون ـ على مقربة من (الصفا) .

وفى سنة (٦١٣ م) انتهت المرحلة السرية للدعوة وابتدأت مرحلتها العلنية . .

المرحلة العلنية

وكان أول أدوارها :

٣ — انذار عشيرة النبي (ص) :

أ ـ (وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل: اني بريء مما تعملون)(١)

بهذا النص الآمر ابتدأ دفع الدعوة وانطلاقها بشكل أوسع وأسرع باعلانها انذار (بني هاشم) رهط النبي (ص) وعشيرته وركنه الوثيق الذي يأويه ولا سيما في مجتمع مكة القبيلي المتناحر ، . . وكان البدء بهم مما تفرضه طبيعة الدعوة ومستلزماتها لتهيأ وتتخذ منهم السند والقوة الاجتماعية الكافية ، والتي تتمشى وظروف مرحلتها العلنية .

(١) الآية ٢١٤ من سورة الشعراء .

يقول المؤرخون : أول لم النبي (ص) ودعا عشيرته (بني هاشم) ، وكانوا ـ يومذاك ـ نحو أربعين رجلا ، ليعرفهم خطورة موقفهم السلبي من الدعوة ، وبخاصة في أمثال مجتمعهم القبيلي ، وقبل أن يتكلم (ص) بادره عمه (ابو لهب) ، بقوله : « هؤلاء عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصبأة (١) ! واعلم انه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك ، فحسبك بنو ابيك ، وان اقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش ، وتمدهم العرب ؛ فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به » (٢)

وكان يلقي خطبته هذه في ثورة عاطفية مهتاجة ، مما

---

(١) الصبأة : الخروج من دين الى دين .

(٢) محمد الغزالي ، فقه السيرة (القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٣) الطبعة الاولى ص٧٧ و ٧٨ .

دعا النبي (ص) ان يتكلم في ذلكم المجلس، فانفض الاجتماع دونما فائدة .

فاولم النبي « ص » ثانية ، ولكن بعد أيام ، ودعاهم الى الاسلام أيضا قائلا : « الحمد لله ، احمده واستعينه ، وأومن به ، واتوكل عليـــــه ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له . .

أما بعد : فان الرائد لا يكذب أهله ، ولو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم .. والله الذي لا اله الا هو، اني لرسول الله اليكم خاصة ، والى الناس عامة . . وقد أمرني الله ان ادعوكم اليه ، فقال : (وأنذر عشيرتك الاقربين) ، وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان : شهادة ان لا اله الا الله ، واني رسول الله . . !

والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احساناً وبالسوء سوءاً ، وانها للجنة أبداً ، أوالنار أبداً .

يابني عبد المطلب . والله ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم . اني جئتكم بخير الدنيا والآخرة . . فمن يجيبني الى هذا الأمر ، ويؤازرني على القيام به ؟ . . » .

الا أنه ـ في هذه المرة ـ حينما أنهى خطابه الكريم اعقبه مباشرة عمه (ابو طالب ـ ع) بخطبة لبى فيها دعوة النبي ﷺ وأعلن حمايته ومساندته الاسلام والمسلمين ، قال : « ما احب الينا معاونتك ، واقبلنا لنصيحتك ، وأشد تصديقنا لحديثك ، . . وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وانما انا احدهم ، غير اني اسرعهم الى ما تحب . فامض لما أمرت به ، فو الله لا ازال احوطك وامنعك » .

وقاطعه أثناءها (ابو لهب) بالرد قائلا : « هذه والله السوأة . . خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يده غيركم ، فان اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم » .

بيد ان ابا طالب لم يعبأ به ، ولم يلتفت اليه واستمر يصرح بلينا موقفه الاسلامي الرائع راداً ابا لهب ، بقولته المعروفة:

« والله لنمنعنه مابقينا » .

فاعلن بنو هاشم موقفهم يسندون ابا طالب (ع) في نصرته وسنده النبي ﷺ ودعوته .

ولعل موقف أبي طالب (ع) ومبادرته الى اجابة النبي (ص) وتلبية دعوته كان اسلوبا منظما نتيجة الخبرة التي افادها من موقف ابي لهب في المرة الاولى لاجتماعهم .

ب - (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) .

وبهذا النص الالزامي أيضا انطلقت الدعوة في مرحلتها العلنية خارج نطاق عشيرة النبي ﷺ ، وكان يوم اعلانها حدثا تاريخيا مشهوداً مثل فيه قائد الدعوة أروع البطولات وامثل المواقف الثائرة ، وقبل أن تنطلق الكلمة الداعية ، الكلمة المجاهدة ، الكلمة الرسالة البناءة ، من فمه الشريف مشى الاسلوب الذي يقطع على قريش خط الرجعة فيما اذا حاولت ان تقف دونه وذلك باخذ الضمان منهم لتصديقه فيما

يدعوهم اليه ، فوقف على (الصفا) ، ونادى بكلمة قريش للاجتماع في الامر الهام «ياصباحاه . . ياصباحاه» : فاجتمعت حوله قريش وبين الجماهير ليروا ماذا عند محمد من شأن خطير، فبدأهم ليأخذ الضمان في تصديقهم اياه فيما بعد ، قائلا :

« أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا وراء هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ » فقالوا : « نعم . . أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط » وكان هذا الجواب هو الضمان الذي أخذه منهم .

ثم أعلن دعوته قائلا : « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . . . » . فكان موقف رهيب حاسم ، اصطرعت على صوته عقيدتا التوحيد والشرك ، وتمازلت قوى الخير وقوى الشر تتجاولان معركة الموت والحياة ، فجر (ابو لهب) في ميدانه شعلة الشرك والشر بقولته الهدامة يخاطب محمداً (ص) : « تبا لك سائر اليوم . . ألهذا جمعتنا ؟ » وفجر

(القرآن) الكريم فيه طاقة التوحيد والخير بآيه البناءة يرد ابا لهب : « بسم الله الرحمن الرحيم . تبت يدا أبي لهب وتب . ما اغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى ناراً ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد » .

وذهب خبر الدعوة يتناقل ويشيع منتشراً في أوساط مكة وفي ربوع جزيرة العرب وبين قبائلهـــا ، وذهب المتطلعون الى الحق والى العدالة يدخلون الاسلام سراً أو علانية وبخاصة من أفراد الطبقتين الاخيرتين (الارقاء والاحلاف) ، كان بعضهم يتسلل الى النبي ﷺ سراً خشية سيده ، وكان البعض الآخر يعلن اسلامه متحدياً بذلك سيده . . فتهيب الدعوة رجال ، وخافها آخرون وبخاصة ذوي المصالح والمكانات الاجتماعية ، وذوي النفوذ والسيطرة ، لانها هددت كيانهم ، وهزأت بقيمهم الاجتماعية وما اليها . . فراحوا يتأهبون لمناوئتها ، ويستعدون لمحاربتها ، ويجمعون للوقوف امامها ودون انتشارها وتركزها فالقضاء عليها .

٤ ـ المفاوضة :

وحينما تجسد خطر الدعوة حقيقة ماثلة أمام اعين اعدائها ، وبدأ الصراع بينهم وبين المسلمين رأى أسياد قريش وزعماؤهم أن يمشوا الاساليب السلمية ـ بادىء الرأي ـ في صد الدعوة وايقاف حركتها وذلك بالمفاوضة ، احتراما لأبي طالب ، وخشية أن تقع الحرب بينهم وبين بني هاشم التي قد نشرها صلابة النبي صلى الله عليه وآله في دعوته ، وصلابة بني هاشم ـ وعلى رأسهم ابوطالب ـ في اسناده الدعوة ..

وكانت المفاوضة مرتين مع ابي طالب ، وثالثة مع النبي مباشرة ، تخللتها مساومة ، وكانت نتائجها فشل قريش فى كل من محاولاتها .

١ ـ وكانت المفاوضة الأولى تحمل طابع العنف في لهجتها فقد كلم اشراف قريش بلسانها أبا طالب : في أن يترك النبي صلى الله عليه وآله دعوته ، ويكف عن آلهتهم وتقاليدهم أو يخلي بينهم

وبين محمد قائلين : « يا ابا طالب : ان ابن اخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا ، وسفه احلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما ان تكفه عنا ، واما تخلي بيننا وبينه ، فنكفيكه » .

فردهم ابو طالب رداً جميلا ، رجعوا على أثرهم خائبين .

٢ ـ وكانت المفاوضة الثانية اكثر عنفاً ، عرضوا فيها على أبي طالب عليه السلام منازلة النبي صلى الله عليه وآله واياه ، أو يترك الدعوة . . قالوا : « يا ابا طالب ان لك سناً ، وشرفاً ، ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك من ابن أخيك ، فلم تنهه عنا ، وانا والله لانصبر على هذا ، من شتم آبائنا ، وتسفيه احلامنا وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله واياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين » .

الا أنه حين وصل خبر المفاوضة هذه الى النبي صلى الله عليه وآله قال لعمه : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهر الله أو اهلك

دونه » .. فقال ابو طالب عليه السلام : « اذهب يابن اخي ، فقل ما احببت ، فو الله لا اسلمك لشيء أبداً » ، يؤكد بذلك من عزيمة النبي صلى الله عليه وآله ، ومن كفالته اياه ، واسناده الدعوة ودفاعه عن المسلمين .

وحين فشلت قريش في مفاوضتيها مع أبي طالب عليه السلام ارتأت أن تذهب اسلوب المساومة نهاية للتفاوض معه .. فساومته بـ (عمارة بن الوليد بن المغيرة) ـ وهو من طليعة فتيانها شجاعة وجمـالا ـ بدل محمد صلى الله عليه وآله ، قالت له : « يااباطالب : هذا عمارة بن الوليد انهد فتى في قريش واجمله فخذه ، فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً ، فهو لك ، وأسلم الينا ابن اخيك ، . . . . فنقتله ، فانما هو رجل برجل ».. فقال عليه السلام : « والله لبئس ماتسومونني ! . . أتعطونني ابنكم اغذوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ! .. هذا والله مالا يكون أبداً » .

٣ ـ وكانت المفاوضة الثالثة ، والتي هي مع النبي صلى الله عليه وآله

مباشرة أبين فى فشلها وخسران قريش ، فقد ارسلت الى النبي (ص) - (عتبة بن ربيعة) - وهو من ساداتها ، عرف بهدوئه واتزانه - وعرض عليه استعداد قريش لأن تعطيه كل مايطلب ويريد على أن يتنازل عن دعوته قائلا: « يابن أخي : انك مما حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد اتيت قومك بامر عظيم ، فرقت به جماعتهم .. فاسمع مني اعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها ، ان كنت انما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى تبرأ » .

فكان جوابه (ص): ان قرأ عليه اوائل سورة فصلت:

« بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً،

فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في اكنة مما

تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب، فاعمل

اننا عاملون . قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما

الهكم إله واحد فاستقيموا له واستغفروه ، وويل للمشركين.

الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . ان الذين

آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل أئنكم

لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً

ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها

وقدر فيها اقواتها في أربعة ايام سواءاً للسائلين . ثم استوى

الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرهاً

قالتا : أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى

في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا

ذلك تقدير العزيز العليم . فان اعرضوا فقل : انذرتكم

صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

وربما كان اختيار النبي صلى الله عليه وآله هذه الآيات المباركة ،

لأن يعرف موفد قريش حقيقة القرآن الكريم ، وواقع رسالته واهدافها ، وتأثير الجهالة والرواسب الكافرة وعواطف الصلة في منع الانسان من أن يعي أو يهتدي الى سبيل الحق والخير والجمال ، ولأن يعرفه على جلية بعض مفاهيم الاسلام وتعاليمه في جوانب مختلفة مما تتطلبه حياة الانسان ..

ولعل تأكيده صلى الله عليه وآله على عقيدة التوحيد وفريضة الزكاة بذكره صلى الله عليه وآله الآي العزيزة ، يشير به ويلفت (عتبة) الى دوافع أسياد قريش في مواقفهم العدائية تجاه الدعوة .

فرجع (عتبة) الى قريش ينهاهم عن التعرض الى محمد ، لأنه أدرك صدقه في دعوته ووعى نبل غاياته .

وفي نهاية تلكم المفاوضات حيث تأزم الموقف بين النبي صلى الله عليه وآله وقريش ، وعنف الصراع بين المسلمين واعدائهم ، جمع ابو طالب بني هاشم واعلمهم أمر المفاوضات ونتائجها وموقف النبي صلى الله عليه وآله وموقفه هو ومواقف قريش ، . فكان

موقفهم ان صمموا كلهم غير أبي لهب ، على الوقوف صفاً واحداً في نصرة الدعوة ومقاومة قريش .

٥ ـ التعذيب :

وجمت قريش أن تتخذ موقف الارهاب من الدعاة المسلمين ، وذلك بان تعذب الضعفاء منهم من أفراد الطبقتين الأخيرتين ممن لا ينتصر ولا يثأر لهم اسيادهم وحلفاؤهم ، وربما كانوا هم انفسهم يعذبونهم، امثال : بلال ، وآل ياسر وخباب بن الارت.

١ ـ بلال : كان متى حميت الشمس وقت الظهيرة الهاجرة يلقيه سيده في الرمضاء الملتهبة على وجهه تارة ، وعلى ظهره اخرى، ثم يأمر بالصخرة العظيمة المحماة ، فتلقى على صدره وهو يخاطبه: « لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى » ، فتقول العقيدة المتجسدة ببلال في مجال التضحية المقدسة البناءة : الكلمة المجاهدة والخالدة

مع الحياة تنير دروب الثائرين وتلهب عزائم البطولة «احد . احد » .

استمر بلال يلحن تحت وقع سياط سيده الكافر نشيد العقيدة المناضلة لتدفع جنودها الى سوح التضحيات المكرية من اجل خير الانسانية ، حتى انقذه (ابو بكر) حيث استبدله بعبـــد كافر كان عنده .

٢ ـ آل ياسر (عمار وابوه ياسر وامه سمية) : كان هؤلاء في تضحياتهم ـ وبخاصة شلوي ياسر وسمية المزعين ـ الحجر الاساس فى بناء الدعوة ، والمنار الهادي فى طريق الدعاة الثائرين . .

كان اسيادهم يخرجونهم الى (الابطح) عند شدة ارتفاع حرارة الشمس حيث الرمضاء المحرقة بحرها ، يواصلون معهم انواع التعذيب والوان التنكيل . .

ومر بهم النبي ﷺ ذات يوم وهم تحت وطأة العذاب

يقاسون آلامه الممضة فقال ﷺ : « صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة » ، فكانت الكلمة الرسالة ، والتي تفهم ان الدعوة ـ اية دعوة ـ لاترفع بناءها ولا تصل الى أهدافها وغاياتها ، إلا بعد أن تضع فى الأساس اشلاء الضحايا من ابنائها الشهداء ، وبعد أن تسقي تربتها بالدم الطاهر المنير ، لتخصب فتثمر ، . . والتي تفهم أن العقيدة ـ اية عقيدة ـ مالم تبلغ في فاعليتها هذه القمة من الفناء ، ونكران الذات من أجلها وفي سبيلها ، لاتعد العقيدة الحية الناهضة .

٣ ـ جباب : كان يعرى من قبل أسياده ثم يلصق ظهره بالرمضاء الملتهبة حرارة وتحت شواظ الشمس ، ثم تلقى عليه الحجارة المحماة بالنار . .

وكان غير هؤلاء من المعذبين فى الله ، ومن الذين صدقوا (الوعد الحق) فكانت الجنة وكان الخلود .

وهنا ربما نلمس شيئاً مثيراً وراء تلكم التضحيات أود

أن أعرضه بشيء من الايضاح :

كانت الدعوة يومها كتلة صغيرة ضعيفة ـ لأنها بعد لا تزال وليدا يتكامل في نموه تعمل وسط مجتمع تكتل بكثرته وبماله من قوة ضدها، من أجل القضاء عليها . . ومن الطبيعي أن التضحية من أمثال اولئكم الدعاة في مثل كتلتهم الصغيرة الضعيفة لا تتأتى الا إذا توفر الداعية ـ حالة التضحية ـ على دوافع ضخمة في زخمها ، قوية فى حيويتها ، غنية في طاقاتها سخية فى عطائها ، تمده بالقوة الهائلة الواسعة ، لتبلغ التضحية في نفسه نتيجة فاعليتها وتأثيرها قمة التقديس الاعلى .

وهو شيء قد لا نلمسه فى غير الدعوة الاسلامية ، بما تسبغه من يقينية فى نفوس دعاتها حول واقعها ، وبما تفتح امام اعينهم من آمال عظام ، تقربها من متناولهم متى سموا نحوها ، وبما تضرب من وعود بالفوز والنجاح تربطها بالنصر من الله تعالى، الذي هو أقوى، وأقهر وأقدر قوة في الوجود.

وعما ترسم لهم من هدف اسمى ، تغلغل حب السبق اليه في اعماق قلوبهم ، . فقد كان قائد الدعوة الرسول الاعظم ﷺ ـ كما يحدث مؤرخو سيرته المقدسة ـ يغرس في نفوس دعاته تلك اليقينية الخلاقة ، وينميها عندهم بالآمال الصادقة ويغذيها ـ بعد ـ بالوعد بنصر الله تعالى لهم ، ثم يلهبها الى العمل بجلوته الهدف الاسمى للانسان في الحياة . . وبكلمة آخرة : يثيرها نوراً وناراً بالتقديسية التي يشحنها للدعوة قدر ماتتطلب للعمل من أجلها .

فلم يكن ياسر وسمية وأمثالها ليضحوا تخلصاً من أغلال العبودية فحسب ، وانما هي اهداف الاسلام في حيويتها ودفعها وعظمها .

الهجرة الى الحبشة :

وكاد الارهاب بهذه الالوان العنيفة القاسية من التعذيب والتنكيل ، أن يوصل قريشاً الى اهدافها ، فيفل من عزائم

الدعاة ويصد الدعوة ويشل من حركتها، .. فرأى النبي (ص) - لئلا تصل قريش الى غاياتها ، ولئلا يضعف المسلمون - أن يترك الدعاة مكة ، ويهاجروا الى خارج بلاد العرب ، ليقووا ويتماسكوا أكثر من ذي قبل، لأن من طبيعة هذه امثال المواقف - غالبا - ان تمد الدعاة بالطاقة الدائمة الخلاقة، وتمنحهم القوة المتلاحمة المتماسكة وتلهبهم بالحماسة الثائرة، . ورأى (صلى الله عليه وآله) أن تكون الهجـــرة الى (الحبشة) لما عرف به ملكها (النجاشي) من الاستقامة وطيب المعاملة. فاعد (ص) الدفعة الأولى من الدعاة وبعثهم بمعية (جعفر بن أبي طالب عليه السلام) وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نساء، خرجوا متسللين خشية ان تعرف أمرهم قريش فتقف دونهم تمنعهم من الهجرة آخذين جهة البحر ثم ساحله وهناك قضيت لهم سفينتان تجاريتان اقلتهما الى الحبشة،

وكانت في سنة (٦١٥ م) ثم تبعتها الدفعـــة الثانية ،

فتكاثر عدد المسلمين بما يناهز المئة أو يتجاوزها .

وحينما غادر المسلمون مكة المكرمة الى الحبشة اضطرب الجو السياسي القرشي في مكة ، وتبلبلت الوضعية أي تبلبل، وقلقت نفوس قريش كل القلق ، وتموج التفكير وتلاعب في ذهنياتهم : سيسفه المسلمون عقولنا امام النجاشي وأبناء الحبشة ، وسينالون من آلهتنا ويعيبونها ، وربما تركزوا اجتماعيا هناك ، وقوي نفوذهم ، ونشطت دعوتهم ، وتركزت وتوسعت ،فكانت لهم دولة اسلامية، يغزوننا بها ويفتحون بلادنا ، فيستولون علينا . .

ومشي التفكير بعدها مجرى الحل لهذه المشكلة والتعرف على الطريقة الناجحة في منع المسلمين من ذلك ، وكان الرأي: هو أن يبعث قريش رسولين يمثلانها أمام النجاشي ،يحملان معهم الهدايا الكثيرة الثمينة اليه والى وزرائه واشراف بلاطه بغية استمالتهم الى مؤازرة قريش في مهمتها ...

وحينما وصل الرسولان وقدما الهدايا الى الحاشية الملكية واخبروهم الأمر ، واعلموهم الغاية من مجيئهما وهي : أن يسلم النجاشي المسلمين الى قريش ، بعد ان اتفقا معهم على أن يشيروا على النجاشي باقصائهم ، والطريقة التي تدفع في اقناعه بذلك بان يقدّم « بانهم ناس من سفهاء العرب ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم » . . ، رفعت الحاشيـــة أمرهم الى النجاشي ، . . فبعث على المسلمين ليستطلع واقع الأمر ، فحضروا عنده يقدمهم جعفر بن ابي طالب عليه السلام ، فسألهم: « ماهذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من الناس ؟ »

فأجابه جعفر :

« ايها الملك كنا أهل جاهليـــة ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء

الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، . حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه ، وامانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله وأن لانشرك به شيئاً ، ونخلع ما كنا نعبد من الاصنام .وأمرنا بصدق الحديث؛ وأداء الامانة، وصلة الرحم ؛ وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام . . .» وعدد عليه تعاليم الاسلام ، ثم قال:

« فآمنا به وصدقناه ، وحرمناماحرم علينا ، وحللنا ماأحل لنا ، فتعدى علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان ، فلما قهرونا وظلمونا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك » .

فقال النجاشي .

« هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟

قال : نعم . . وقرأ عليه قسما من سورة (مريم) من القرآن الكريم .

فبكى النجاشي وأساقفته ، وقال : « ان هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا (يخاطب رسولي قريش) ، والله لا اسلمهم اليكما أبداً » .

فخرج الرسولان منكسرين ، يقول احدهما الى الآخر : « والله لآتينه (يعني النجاشي) غداً بما يبيد خضراءهم » .

وجاءه من الغد ، وقال له وشاية بالمسلمين : « ان هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما » .

فاحضر النجاشي المسلمين ، وسألهم عن رأي الاسلام في عيسى بن مريم ، فأجابه جعفر ـ أيضا ـ : أن الذى جاءنا به النبي محمد ﷺ : ان المسيح بن مريم عبـــد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء .

فتناول النجاشي عوداً من الارض ، كان ملقى ، وقال :

« ماعدا عيسى ماقلت قدر هذا العود » وتوجه الى المسلمين الحاضرين كافة قائلا : « اذهبوا فانتم آمنون ، ماأحب أن لي جبلا من ذهب واني آذيت رجلا منكم » ورد هدايا قريش الى رسوليها ، وهو يقول : « ما اخذ الله الرشوة مني حتى آخذها منكم ، ولا أطاع الناس فيّ حتى أطيعهم فيه » (١)

وربما كان اختيار جعفر لقراءة سورة مريم اسلوباً املاه عليه واقع النجاشي وهو انه مسيحي المبدأ .

وبقي المسلمون في الحبشة احد عشر عاماً ، عادوا بعدها الى (المدينة المنورة) حيث اقام الرسول الاعظم ﷺ الدولة الاسلامية .

٧ ـ التشكيك :

وحينما رأت قريش فشل المفاوضة ، وعدم جدوى الارهاب وخيبتها مع النجاشي ، وفهمت صدق الدعوة وسمو اهدافها ،

(١) يقرأ : الغزالي ، ص ٩٠ ، ٩١

وشهدت اقبال الناس عليها، تأزم موقفها في حراجة شديدة، ..
فقررت ان تمشي لصد الدعوة اسلوب التشكيك ، فتثير الشكوك حول زعامة النبي ﷺ : انه صغير السن ، انه قليل المال ، الأمر الذي يتنافى وعرفهم في الزعامة .. « وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (١) . .
« وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً . . . او يكون لك بيت من زخرف » (٢) . .

وتثير الشكوك والشبهات حول نبوته : انه ليس من الملائكة ، ولا من السماء ، « قل : لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » (٣) . .

---

(١) الآية ٣١ من سورة الزخرف

(٢) الآيات ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ من سورة الاسراء

(٣) الآية ٩٥ من سورة الاسراء

وحول قرآنه : انه شعر ،أومايشبه الشعر، « ويقولون : ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » (١) ..

وحول شخصيته الكريمة : انه ساحر ، انه مجنون ، « وقال الكافرون : هذا ساحر كذاب » (٢) . . « وقالوا: يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون » (٣)

وامثال هذه الشكوك .

وكانت قريش فى كل اساليبها هذه فاشلة ، لأن واقع الاسلام فى صفائه ونقائه وصراحته يتحدى كل ماتقول ، ويبطل كل ماتدعي .

٨ ـ المقاطعة :

وهنا رأت قريش حيث لم تفلح فى كل مسعاها ، وفي

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الصافات

(٢) الآية ٤ من سورة ص

(٣) الآية ٦ من سورة الحجر

مختلف وسائلها واساليبها ، أن عني الاسلوب الاشدعنفاً في قسوته وضراوتها ، وهو (المقاطعة) .

وكانت عام (٦١٧) .. وموجزها :

عقدت قريش مؤتمراً لدراسة الموقف بشكل اعمق واوسع حسبما تقتضيه طبيعته ، وكانت النتيجة ان قررت المقاطعة ، وكتبت فيها (صحيفة) ضمنتها بنود المقاطعة وهي :

١ ـ انلا تتزوج قريش من بني هاشم ولا تزوجهم .

٢ ـ ان لا تبيعهم شيئاً ولا تشتري منهم شيئاً .

وعلقت الصحيفة داخل الكعبة .

وحين علم بنو هاشم بقرار المقاطعة دخلوا (الشعب) (١) مع أبي طالب عليه السلام محاصرين فيه ، لايتصلون باحد ولايتصل بهم ، ولا يصل اليهم شيء من الطعام أو الماء ، بسبب رقابة قريش اليقظة الشديدة التي ضيقت المجال امامهم في شراء

---

(١) الشعب : شق في الجبل يشبه المخبأ .

السلم من أي سوق ، وذلك انها التزمت بان يشتري القرشي السلعة باغلى ثمن لئلا يشتريها الهاشمي ، حتى بلغت الحالة أن يقتات بنو هاشم بورق الشجر .

« قال السهيلي : كانت الصحابة اذا قدمت عيرٌ الى مكة ، يأتي احدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتا لعياله ؛ فيقوم ابولهب فيقول : يامعشر التجار غالوا على اصحاب محمد، حتى لايدركوا معكم شيئاً . . وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي ، فأنا ضـــامن ان لاخسارة عليكم » . فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها اضعافا ، حتى يرجع أحدهم الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع ، وليس في يده شيء يطعمهم به» ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعا وعريا »(١) .

استمرت المقاطعة (ثلاث سنين) حوصر خلالها بنو هاشم

---

(١) الغزالي ، ص ٩٤ .

أشد الحصار وضيق عليهم الخناق من قبل قريش اعنف التضييق.

وقد قوّت المقاطعة من تماسك بني هاشم ، ومن غلغلة العقيدة في نفوسهم اكثر واعمق ، ومن شعورهم بالعداء الصارخ لقريش، وكذلك المسلمون خارج الشعب لاحساسهم وشعورهم أحاسيس ومشاعر بني هاشم في آلامهم وآمالهم .. ذلك أن من نتائج امثال هذه المواقف كالمقاطعة والحصار والسجن وما شاكل ، في نفسيات وشخصيات الدعاة ، وفي كيان وشخصية الدعوة : التماسك والتلاحم والحماسة والاندفاع بشكل أوثق واكثر من ذي قبل .

وانتهت المقاطعة بعد أن أكلت الارضة من الصحيفة كل كلمة لم تكن ذكراً لله تعالى ، وأوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وآله يخبره بذلك، واخبر النبي صلى الله عليه وآله عمه اباطالب عليه السلام وخرج هو وجماعة من بني هاشم الى المسجد الحرام : وحدث ابو طالب عليه السلام قريشاً باخبار النبي صلى الله عليه وآله اياه عن أمر

الصحيفة ، طالباً منهم ان كان الخبر كما قال النبي ﷺ يرفع الحصار وتبطل المقاطعة ، وإن كان ليس كما اخبر يسلم النبي ﷺ اليهم . . قائلا : « ان ابن اخي قد اخبرني ـ ولم يكذبني قط ـ ان الله قد سلط على صحيفتكم الارضة ، فلحست كل ما كان فيها من جور وظلم أو قطيعة رحم ، وبقي فيها كل ماذكر به الله . . فان كان ابن أخي صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم ، وان كان كاذبا دفعته اليكم فقتلتموه او استحييتموه » . . فقالوا : « قد انصفتنا » . ونظروا الى الصحيفة فكانت كما اخبر النبي ﷺ ، فقال ابو طالب عليه السلام : « علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر ؟! » ، ثم دخل هو وجماعته من بني هاشم بين الكعبة واستارها ، ودعا : « اللهم انصرنا ممن ظلمنا ، وقطع ارحامنا ، واستحل مايحرم عليه منا » . . ثم عادوا الى الشعب (١) .

---

(١) يقرأ : دويدار ، ص ١٨٤

واختلفت قريش فيما بينها حول أبطال المقاطعة، وتحفزت جماعة منها للعمل لنقضها، يقول صاحب السيرة النبوية والآثار المحمدية: « عند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة، وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وزهير ابن أبي امية المخزومي، والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وابو البختري بن هشام، وزمعة بن الاسود، فمشى هشام ابن عمرو الى زهير بن ابي امية فقال: أرأيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء، واخوالك حيث علمت؟! .. فقال: ويحك ياهشام! ماذا أصنع؟ فأنا انا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها، .. فقال: فأنا معك، فقال: ابغنا ثالثاً، . ومشيا جميعا الى المطعم ابن عدي، فقالا له: أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وانت شاهد؟! .. فقال: أنا انا واحد، . فقالا: إنا معك، .. فقال: أبغنا رابعا . فذهبوا الى أبي

البختري فقال : ابغنا خامساً، فذهبوا الى زمعة بن الاسود فوافقهم على ذلك . فقعدوا ليلا باعلى مكة ، وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة ، واخراج بني هاشم من الشعب . . وقال لهم زهير : أنا أبدؤكم وا كون أول من يتكلم . فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم ، وغدا زهير - عليه حلة - فطاف بالبيت، ثم اقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأ كل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم والمطلب هلكى، لايبتاعون ولا يبتاع منهم ؟! . . والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمـــة ! ! . فقال له ابو جهل : كذبت !. . فقال زمعة بن الاسود: أنت والله أ كذب !.. مارضينا كتابتها حين كتبت . فقال ابو البختري : صدق زمعة . فقال مطعم بن عدي : صدقتما وكذب من قال غير ذلك . . نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها ! . . فقال هاشم ابن عمر مثل ذلك . فقال ابو جهل: هذا أمر قدقضي بليل .

واضطرب الأمر بينهم ، وكثر القيل والقال ، فقام مطعم ابن عدي الى الصحيفة فشقها ، وفي رواية : قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ، فلبسوا السلاح ، ثم خرجوا الى بني هاشم والمطلب ، وأمروهم بالخروج الى مساكنهم ، ففعلوا » (١) وخرجوا أكثر اندفاعا واستبسالا من ذي قبل في سبيل الدعوة

وكان المسلمون ـ غير بني هاشم ـ مدة المقاطعة يواصلون العمل من اجل الدعوة ، فكانوا يتصلون بالناس في فترات مواسم الحج وغيرها يدعونهم الى الاسلام .. مما يكشف لنا عمق أثر الدعوة في نفوسهم ، وسعة ملئها لعواطفهم ، حيث لم تقف المقاطعة ، ولا آلامهم لمأساة بني هاشم مثبطاً لهم عن العمل ، وانما كان الأمر ـ في واقعه ـ حافزاً أشد في دفعهم واندفاعهم . الشيء الذي أشرت اليه ـ قبل قليل ـ كعامل له مفعوله الكبير في تماسك الكتلة ، ودفعها الى العمل .

---

(١) دويدار ص ١٨٤ ، ١٨٥.

وبعد ان انتهت المقاطعة سنة (٦٢٠ م) توفي حامي الدعوة وكافل النبي وسند المسلمين (ابو طالب عليه السلام)، وتوفيت في نفس العام ايضا (خديجة عليها السلام) بعدأن أنفقت كل اموالها في سبيل الاسلام ، وأغتم النبي صلى الله عليه وآله لوفاتها ، وحزن حزناً شديداً ، وسمى ذلك العام (عام الحزن) .

واغتنمت قريش موت أبي طالب عليه السلام فرصة مواتية لمقاومة الدعوة ، وايذاء النبي صلى الله عليه وآله ، فحشدت كل ماتملك من امكانيات، وكل مافي امكانياتها من طاقة لمقابلة النبي صلى الله عليه وآله ويصور صلى الله عليه وآله موقف قريش المدائي منه بعــد وفاة عمه أبي طالب عليه السلام ، مقارناً بينه وبين موقفها ايام حياته بقولته المأثورة : «مازالت قريش كاعة عني حتى مات عمي» .

فاعملت جميع قواهــا في الاعتـــداء على النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين ، . . ورأى النبي صلى الله عليه وآله ان قريشاً لاتثوب الى رشد ، ولاتقبل على هداية ، وان الدعوة لا سبيل لها لأن

تنهض في مكة فتجعل منها قاعدة مركزية ، تنطلق منها الى البلاد الاخرى، ورأى أن الدعوة في غير مكة أيسر في النهوض وفى التمركز، فصمم على الخروج الى (الطائف) لأنها أقرب الى مكة ، وكان ذلك في عام (٦٢٠ م) ايضا .

٩ ـ الى الطائف :

وغادر ﷺ مكة الى (الطائف) ماشياً على قدميـــه ، ومبتعداً عن طريق الناس ، متخفياً خشية ان تعلم قريش بخروجه وبذهابه فتفسد عليه أمر الدعوة باساليبها الخرقاء، ووسائلها المنكرة . . ووصل الطائف ، ومكث فيها عشرة ايام يتصل بمختلف طبقاتها وأفرادها يدعوهم الى الاسلام بشتى الاساليب الانسانية، فلم ير منهم غير الرد والرفض والاستهزاء والسخرية حتى من قبل اشرافهم ، لما بينهم وبين قريش من روابط اجتماعية واقتصادية ، ولعلمهم بموقف قريش منه ، ولما بينهم وبين العرب من رابطة دينية بوجود صنم (اللات) ،

عندهم الذي يعد من أهم اصنام العرب التي يحجون اليها . .

فصمم ﷺ على الرجوع الى مكة ، وطلب من أشراف الطائف كتمان خبر مجيئه ، غير ان الخبر كان قد شاع فخافوا من بقائه عندهم ، فطلبوا منه الخروج أيضا . . وكان خروجه مأساة مؤلمة اضيفت الى مأساة عدم استجابتهم له ﷺ ، فقد ملأوا الشوارع والطرقات ، وسدوا المنافذ والمسارب ، يحشدون اكوام الحجارة ، يرمونه بها من كل جانب وصوب حتى ادميت رجلاه الشريفتان ـ كما ينقل المؤرخون ـ وضعفت قواه وراح يحمل نفسه ثقيلا وبطيئا ، مما كان له اسوأ الأثر عنده نفسيا وجسميا ، حتى التجأ الى حائط بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، واستند عليه تحت ظل كرمة ليستريح قليلا ، ولعله يأمن اذى الطائفيين فيسترجع قواه كيما يواصل مسيره الى مكة ـ وهو في وضعية من الالم الصادع المتراكم ـ رق لها صاحبا البستان فعطفا عليه بتأثير القرابة فردا عنه الناس ،

فجلس ﷺ ، ومرت عليه ذكريات وذكريات من حياته في الدعوة ، وما عاناه من قريش ، ثم دعا ربه تعالى : « اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس.. أنت ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين ، وانت ربي . . الى من تكلني ؟ . . الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته أمري ؟؟ . . ان لم يكن بك غضب عليّ فلا ابالي ، غير أن عافيتك أوسع لي . . اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل عليّ غضبك ، أو ان ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » ، ثم ارسل صاحبا البستان اليه خادمها بقليل من العنب ، وحين مثل الخادم بين يديه ﷺ تناول العنب ليأكله ، قائلا : « بسم الله » ، مما اثار استغراب الخادم حيث لم يألف عند غيره هذه البدأة في الاكل ، وبدت على ملامحه شارات الاستغراب فسأله النبي ﷺ عن عقيدته

وبلدته ؟ . . فأجابه نصراني من نينوى . فقال ﷺ : من بلدة أخي يونس بن متى عليه السلام ، وهنا استغرب الخادم ايضا معرفة النبي ﷺ ليونس لما بينهما من الاختلاف في الزمن والبلاد وغيرها ، واستغرب اكثر ، اخوته له ، فسأله عن ذلك ؟ فأجابه ﷺ : كان نبياً وانا نبي . وخاطبه بالدعوة الى الاسلام فأسلم وكان بذلك من الصحابة الاوائل .

وترينا الحادثة بين النبي ﷺ والخادم . كيف ان النبي ﷺ لم يترك أي مجال وأية فرصة تمر ان به يستطيع أن يدعو فيها الى الاسلام الا واستثمرها ، حتى ولو كان في مثل وضعيته المؤلمة الصادعة .

وترك النبي (ص) المكان يجد السير الى مكة .

١٠ الهجرة الى المدينة :

كان النبي ﷺ في كل موسم من مواسم الحج واسواق العرب ، امثال : عكاظ وذي المجاز ومجنة ، يتصل بالقبائل

التي تفد الى البيت الحرام ، وترد الاسواق ، يدعوها الى الاسلام ،وكانت قريش تتابعه ، تفسد عليه أمره ، وتمنع القبائل من تلبية دعوته . . وكانت القبائل بحكم ظروفها ترهب قريشاً وتهابها، مما يدعوها الى عدم اجابة النبي ﷺ في دعوته .

فلم يسلم من القبائل ـ بادىء الأمر ـ :

١ ـ الا قبيلة (دوس) ، فقد أسلم رئيسها (الطفيل ابن عمرو) ، وقسم منها ، تبعاً له ، بلغوا نحو (ثمانين) بيتاً .. والتحقوا بالمسلمين بعد ذلك في المدينة المنورة بعد قيام الدولة الاسلامية فيها .

٢ ـ والا قبيلة (الخزرج) وقبيلة (الاوس) وفي بداية اسلامها كانت الخطوة الأولى للهجرة الى المدينة المنورة وفي فرصة اسلامها كان منبثق التفكير بالهجرة وهي :

أ ـ بيعة العقبة الاولى :

كان النبي ﷺ في تردده على القبائل قد التقى في موسم الحج بأفراد من حجيج الخزرج (١) ، فدعاهم الى الاسلام فأسلموا ، وحملوا الدعوة الى المدينـــة ، فلاقت ـ هناك ـ خصوبة واسعة ومجالا رحباً للانطلاق ، فعادوا من عامهم المقبل اثني عشر رجلا (عشرة من الخزرج واثنان من الاوس) ، والتقوا بالنبي ﷺ في (منى) عند (جمرة العقبة) ـ المعروفة بالجمرة الكبرى والعقبة الكبرى ـ في موسم الحج ، فبايعوه على شروط معينة يلخصها عبادة بن الصامت ـ فيما رواه عنه ابن اسحاق ـ بما نصـــه : « قال : بايعنا رسول الله ﷺ على الا نشـــرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف » . قال ـ يعني

---

(١) الخزرج : يراد به الاوس والخزرج فقد كانت العرب تطلقه على الجميع .

رسول الله ﷺ ـ : فان وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه الى يوم القيامة ، فأمركم الى الله ـ عز وجل ـ ان شاء عذب وإن شاء غفر » (١) وكان ذلك عام (٦٢١م).

« قال ابن اسحاق : فلما انصرف عنه القوم، بعث رسول الله معهم (مصعب بن عمير) وأمره أن يقـــرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين . فكان يسمى « المقرىء » بالمدينة » (٢) .

ب ـ بيعة العقبة الثانية :

وحينما عاد اولئكم النفر الطاهر الثائر من مسلمي الخزرج الى المدينة المنورة ، انطلقوا مندفعين حماسة عقائدية وبكل إيمان واخلاص ؛ يدعون الى الاسلام ، فأسلم الكثيرون

(١) دويدار ص ٢٢٣

(٢) ن . م

من أهلها ، مما هيأ للدعوة الاسلامية قاعدة من المدينة ، ورصيداً شعبياً من أهلها .

ولما كان موسم الحج من العام التالي (٦٢٢ م) جاء الى مكة المكرمة من مسلميهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، والتقوا بالنبي صلى الله عليه وآله في (منى) وعنـــد (العقبة) ايضا ، ورفعوا اليه صلى الله عليه وآله أمر انتشار الدعوة في المدينة بما سر به ايما سرور . . وطلبوه البيعة ، فضرب لهم صلى الله عليه وآله موعداً: (شعب العقبة) بعد الثلث الأول من ليلة اليوم الثاني من ايام التشريق ، واشترط عليهم ان يكتموا أمر الموعد ويحافظوا كل المحافظة على سرية الزمان والمكان ، وأن يأتوا الى الشعب في الوقت المعين تسللا ومتفرقين ، وأن لا ينتظروا غائبا ولا يوقظوا نائما محافظة على الوقت وسرية الأمر ، وجعل الامام علياً عليه السلام عيناً على جهة من باب الشعب يراقب خشية ان يطلع احد على الاجتماع ، وجعل ابابكر عيناً على الجهة الاخرى من الباب للمهمه نفسها .

« ويحدثنا كعب بن مالك (رض) كيف تمت هذه البيعة فيقول : خرجنا مع حُجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا (البراء بن معرور) سيدنا وكبيرنا . . حتى قدمنا مكة . فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ ، وكنا لانعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلامن أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله ﷺ ، قال : هل تعرفانه؟ فقلنا : لا . فقال: هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قلنا : نعم ـ وقد كنا نعرف العباس وكان لايزال يقدم علينا تاجراً ـ ، قال : فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . (قال) : فدخلنا المسجد ، واذا العباس جالس ورسول الله جالس معه . فسلمنا ثم جلسنا . فقال ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا ابا الفضل ؟ قال : نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . (قال) : فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ : الشاعر؟

قال : نعم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا الى الحج ، وواعدنا رسول الله العقبة من أوسط ايام التشريق .

فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله فيها ، ومعنى عبد الله بن عمرو بن حزام ابو جابر - سيد من سادتنا - اخذناه ، وكنا قد كتمنا من معنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له: يا ابا جابر ، أنك سيد من سادتنا، وشريف من اشرافنا ، وانا نرغب بك عما انت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه الى الاسلام فاسلم . واخبرناه بميعاد رسول الله ايانا ، فشهد معنا العقبة وكان نقيباً .

(قال) : فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا .

(قال) : فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، الا أنه احب ان يحضر أمر ابن اخيه ويستوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج ـ وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج ، خزرجها واوسها ـ ان محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فانتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده ، . .

فقال البراء بن معرور : انا والله لو كان في أنفسنا غير

مانذطق به لقلناه ، ولكنا نريد الوفاء والصدق ، وبذل مهجنا دون رسول الله ﷺ . . فتكلم يارسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فنحن نبايعك .

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا الى الله ، ورغّب فى الاسلام ، . . ثم قال : « تبايعوني على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإن تقولوا في الله لاتخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني ، فتمنعوني - إذا قدمت عليكم - مما تمنعون منه انفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة » .

(قال) : فاخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم .. والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، . فبايعنا يارسول الله ، فنحن - والله - أبناء الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر .

(قال) فاعترض القول ـ والبراء يكلم رسول الله ـ ابو الهيثم بن التيهان ، فقال : يارسول الله ، ان بيننا وبين الرجال ـ يعني اليهود ـ حبالا ، وانا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ .

(قال) : فتبسم رسول الله ﷺ . . ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم . . ! أنا منكم وأنتم مني ، احارب من حاربتم ، واسالم من سالمتم » .

قال كعب : وقد قال رسول الله ﷺ : « اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما هم فيه كفلاء » . فاخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الاوس . . فقال للنقباء : « انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي » . قالوا : نعم .

(قال) : فلما اجتمع القوم لبيعة رسول الله ﷺ ، قال العباس بن عبادة : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ . قالوا : نعم . قال : انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس . فان كنتم ترون انه إذا انهكت أموالكم مصيبة ، واشرافكم قتلا ، اسلمتموه ، فمن الآن فدعوه ، فهو والله ـ ان فعلتم ـ خزي الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ـ على نهكة الاموال وقتل الاشراف ـ فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالو : فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الاشراف . . فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا ؟ . . قال: الجنة . . قالوا . ابسط يدك فبسط يده فبايعوه . . ثم قال رسول الله ﷺ : ارفضوا الى رحالكم .

(قال): فرجعنا الى مضاجعنا ،فنمنا فيها حتى اصبحنا

فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج ، انه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا ، تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وانه ـ والله ـ ما من حي من العرب أبغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم .

(قال) : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيء وما علمناه .

(قال) : وصدقوا ، لم يعلموه ، . وجعل بعضنا ينظر الى بعض » (١) .

كانت هذه البيعة الشريفة نقطة تحول في عالم الدعوة الاسلامية ، ودفعة انقلاب في اجوائها . . فقد غيرت مجرى حياتها حيث فتحت امامها ابواب الانطلاق ، وهيأت لها مجال التركز والتوسع ، ومهدت في سيرها آفاق الاندفاع

---

(١) دويدار ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

بعيدت في دفعها اعماق التغلغل .

كانت هذه البيعة الشريفة بداية صفحات جديدة من تاريخ الدعوة الاسلامية المشرق . ، نقلتها من عالم مكة الخانق الضيق ، ومن مجتمعها الساخر المضطهد ، الى عالم (يثرب) المتفتح الواسع ، والى مجتمعها الجاد المجاهد .

وبعدها عند نهاية موسم الحج عام (٦٢٢ م) كانت الهجرة (الحادث الاهم في حياة الدعوة) وبدأت بذهاب المسلمين الى المدينة المنورة تباعا ، سرا وعلانية ، فرادى وجماعات ، وكانت قبيل هجرة النبي ﷺ اليها ، اسراعا في التخلص من اضطهاد قريش وايذائها ، وتهيأت للاجواء الاسلامية في المدينة ، وتمهيداً لتكوين المجتمع الاسلامي فتأسيس الدولة الاسلامية .

مؤامرة قريش :

وحين علمت قريش أمر البيعة الكبرى، ورأت هجرة

المسلمين الى المدينة المنورة، حاولت منع المسلمين من الخروج الى المدينة ،متخذة شتى الوسائل ، ومتبعة مختلف الاساليب غير انها فشلت اخيراً في جميع محاولاتها .. فرأت استئصالا للدعوة أن تأمر بالنبي ﷺ قائد الدعوة ،فتقتضي بذلك عليها قضاء جذرياً . . فاجتمعت في (دار الندوة) ، وجال التفكير في ادمغتها بين حبس النبي ﷺ او نفيه أو قتله ، وكان القتل هو الرأي الذي وقفت عنده جولة الفكر القرشي والذي تم عليه الاتفاق ، فدبروا مؤامرة القتل ، وهي جعل دم النبي ﷺ مشتركا بين كل القبائل ليضيع هدراً ،ويموت حتى المطالبة به ، فجمعوا من كل قبيلة فتى من شجعانها وأبطالها ، وجهزوهم الى قتل النبي ﷺ في داره ليلا ..

وعلم النبي ﷺ بالمؤامرة ، فمشى الاسلوب المشهور ، وهو ان بات الامام امير المؤمنين عليه السلام في فراشه ، وخرج هو ﷺ وابو بكر ، واختفيا في (غار ثور) ،

الاسلوب الذى أخفق المؤامرة وخيب قريشاً في مسعاها .

وبعد مضي ثلاثة ايام من اختبائه ﷺ فى الغار المذكور، هاجر الى المدينة المنورة ، . .

وتتابع المسلمون يتجمعون فيها ، يشـيدون المجتمع الاسلامى ، ويؤسسون الدولة الاسلامية على أساس من الحق والعدل والكرامة .

اسس المجتمع الاسلامى

رأيت وأنا اقارب نهاية المطاف في حديثي عن الدعوة الاسلامية فى فترتها (من البعثة الى الدولة) ـ أن أعرض بشيء من الايجاز لأهم اسس المجتمع الاسلامى فى المدينة المنورة ، التي وضعها وركزها وذهب يعلي بناء المجتمع عليها قائد الدعوة الاعلى الرسول الاعظم ﷺ :

١ ـ (المسجد) :

كان أول مشروع قام به النبي ﷺ حينما شرف المدينة المنورة، واستقر فيها، هو (بناء المسجد) لتقوم في رحابه (علاقة المسلم بالله تعالى)، وتنبثق من اجوائه، تعاليم الاسلام التي تؤكد من توثيقها، وتبرز من أهميتها في حياة الانسان، منطلقة الى العالم كله..

يتمثل هذا النوع من العلاقة - اعني علاقة المسلم بالله تعالى - في (العبادة)، ولعل اهم اسسها تنمية الجانب الروحي عند المسلم، تنمية مركزة وممتلئة، نتيجة اشباعه بالعبادة اشباعاً معتدلا، يتمشى ومتطلبات فطرته الانسانية وباتتي ونظرته العقلية الصافية الاصيلة..

وربما كان اهم خصائصها : انها تمد المسلم بالقوة والمنعة والعزة، التي تشعره - بدورها - بحريته تجاه جميع المخلوقين الآخرين، نتيجة عبوديته لله الواحد القهار عز وجل.

وقد تكون أهم مميزاتها : هي عنايتها بالجانب الاجتماعي

للفرد المسلم ، بالاضافة الى عنايتها بالجانب الفردي له ، ونلمس ذلك ظاهراً بوضوح : في تأكيد الاسلام على اتيان الصلاة جماعة ، وعلى تأديتها في المسجد الذي يضم عادة الكثيرين من المصلين دافع استحباب الصلاة فيه ، ونلمسه استعمال لغة الجماعة في القراءة والدعاء وغيرهما .

وتتميز - ايضا - بجعلها من المسلم رقيباً على نفسه بسبب شعوره بقدرة الله تعالى ، وخضوعه له سبحانه ، الشعور المتكرر يومياً خمس مرات على الأقل ، مما يعطي للروحية التي تغرسها العبادة في نفسه ، صفة الهيمنة والاشراف على كل سلوكه واعماله .. فتفرض عليه بشكل طبيعي : ان يلتزم في سلوكه مقياساً عملياً خاصاً ، يختلف كل الاختلاف عن مقاييس السلوك الأخر ، وهو (رضى الله تعالى) ، فلا يصدر عن فعل الا بعد أن يعلم أنه يرضي الله تعالى .. اقرأ قوله تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون » (١)

وبنتيجة مفعول ذلكم التكرار يتحول هذا اللون من السلوك ـ طبيعياً ـ الى عادة ، تتأصل ـ بعد ذلك ـ في كيان المسلم الفردي والاجتماعي .

وفي ضوئه ، حيث استطعنا أن ندرك أهمية المسجد في حياة المسلم ، نستطيع أن ندرك اهمية بدء النبي ﷺ ببنائه المسجد كأساس يشاد عليه كيان المجتمع الاسلامي ، وكمركز تلتقي عنده جميع خطوط الحياة الاجتماعية للمسلمين حيث يحتل مكانة منبع ومنطلق التوجيه الاسلامي بمختلف أشكاله وألوانه .

« والمروي ان الرسول ﷺ بنى مسجده الجامع حيث بركت ناقته ، في مربد لغلامين يكفلهما أسعد بن زرارة ، وكان الغلامان يريدان النزول عنه لله فأبى الرسول ﷺ

(١) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت .

إلا ابتياعه بثمنه !.

فأمر ﷺ بالنخل فقطع ، وبالخرب فسويت ، وصفوا النخل قبلة للمسجد ـ والقبلة يومئذ بيت المقدس ـ وجعل طوله مما يلي القبلة الى المؤخرة مئة ذراع ، والجانبان مثل ذلك تقريباً ، وجعلت عضادتاه من الحجارة ، وحفر الأساس ثلاثة أذرع ، ثم بني باللبن ، واشترك رسول ﷺ واصحابه في حمل اللبنات والاحجار على كواهلهم .

وكانوا يروحون عن أنفسهم عناء الحمل والنقل والبناء . (بترديد هذا البيت) :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجره

وقد ضاعف حماس الصحابة في العمل رؤيتهم النبي (ص) يجهد كأحدهم ، ويكره ان يتميز عليهم .. فارتجز بعضهم هذا البيت :

لئن قعدنا والرسول يعمل   لذاك منا العمل المضلل

وتم المســـجد في حدود البساطة : فراشه الرمال والحصباء، وسقفه الجريد، وأعمدته الجذوع » (١)

٢ - (المؤاخاة) :

وكان المشروع الثاني الذي قام به النبي ﷺ بعد بناء المسجد ، هو المؤاخاة بين المسلمين .

ونحن متى عرفنا ان (التنظيم الاجتماعي) في مجال تنفيذه ، وفي مجال بقائه قائماً ومستمراً ، يفتقر بطبيعتــه الى عمليتي (التعاون الاجتماعي) و (التماسك الاجتماعي) ندرك أهمية المؤاخاة التي قام بها النبي ﷺ وهو في صدد بناء المجتمع الجديد .. ذلك ان التعاون والتماسك لا يتأتيان إلا بين جماعة تشعر بالوحدة بين أفرادها ، ولا أظن ان هناك عاملا أقوى في اعطاء وخلق هذا النوع من الشعور ،

---

(١) الغزالي ، ص ١٣٨ ، ١٣٩

كالاخوة ، وربما كان لأجله ، نمى النبي صلى الله عليه وآله خطواته الكبرى في بناء المجتمع الاسلامي بها ، فآخى صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والانصار « فجعل لكل رجل من المهاجرين أخاً من الانصار ، فكان الانصاري يشاطر أخاه المهاجر داره وماله ، وهو بذلك طيب النفس قرير العين » (١) واختار صلى الله عليه وآله علياً اميرالمؤمنين عليه السلام أخاً له .

وكانت تلك الاخوة تقوم على أساس من الايمان بالله تعالى ، وقد حددها القرآن الكريم بقوله تعالى « إنما المؤمنون اخوة » (٢)، وفسر محتواها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله بقوله : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » . فهي لا تعترف بأي عنصر آخر غير الايمان بالله تعالى ايماناً خالصاً ، من مختلف

---

(١) دويدار ، ص ٢٦٤

(٢) الآية ١٠ من سورة الحجرات

عناصر الروابط الاجتماعية ، أمثال : الاقليمية والوطنيـة والقومية وما شاكلها .

ويصور لنا القرآن الكريم نتائج تلكم الاخوة بين المهاجرين والانصار بقوله تعالى : « والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون »(١) فيرينا كيف اذابت تلكم الاخوة نوازع الانسان الفردية وأنانيتها ، عند ابناء مجتمعات كان من أهم خصائصها الفردية والانانية والجمود ، اذابتها في وحدة الجماعة .. ويرينـا كيف قلبت نظرة ذلك الانسان الى انه فرد ، قلبتها الى انه جماعة . وعلى أساس من هـذه الاخوة انطلق النبي ﷺ يصوغ مجتمعه الجديد ، تخطيطاً وتوجيهاً وتنفيـذاً ..

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر

ونلمس ذلك لديه ﷺ من اول خطبة خطبها في مسجده الشريف قال ﷺ - بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله - :

« اما بعد : - ايها الناس : فقدموا لانفسكم ، تعلمن والله ليصعقن احدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن ، له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتيتك مالا وافضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة ، فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزي الحسنة عشر أمثالها ، الى سبع مئة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

والذي يبدو بوضوح في هذه الخطبة الشريفة تأكيد النبي ﷺ على (التكافل الاجتماعي) وبخاصة في جانبه الاقتصادي دون سواه ، مما يثير التساؤل . إلا اننا

متى عرفنا ان طبيعة الوضع الاقتصادي لمجتمع المدينـــة آنذاك — حيث كان ضعيفاً في ثروته الاقتصادية .. الأمر الذي يقف مانعاً من تغيير المجتمع الى الشكل الافضل — تفرض تكافؤ قوى أفراده الاقتصادية ليكون بينهم التعاون والتماسك ، فيتم على أيديهم قيام التنظيم الاجتماعي ، وهو شيء يتطلب ـ عادة ـ الدفع القوي اليه.. نفهم تأكيده ﷺ بصورة خاصة على التكافل الاجتماعي وفي جانبه الاقتصادي .

وفي خطبته الثانيـــة نلمس تأكيده على التمسك بالاسلام والالتزام بتطبيقه والاخوة في الله تعالى .. كمنهج عملي عام يقول ﷺ :

« ان الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ان احسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى قد أفلح من زينه الله في قلبه ، وأدخله في الاسلام بعد

الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، انه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقس عنه قلوبكم ، فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي ، قد سماه الله خيرته من الاعمال ، ومصطفاه من العباد ، والصالح من الحديث ، ومن كل ما أوتي الناس : الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، ان الله يغضب ان ينكث عهده ، والسلام عليكم » .

ان الاخوة الاسلامية تنطوي - في واقعها - على تحديد علاقة المسلم بالمسلم ، العلاقة الاجتماعية التي هي عماد المجتمع .

وفي عقيدتي : انها كانت في واقعها التاريخي (وليس في واقعها التشريعي فقط) أفضل وأروع العلاقات الاجتماعية

التي عرفها تاريخ البشرية .. ويجد القارئ الكريم الامثلة الرائعة على ألوان وألوان من ظواهرها الاجتماعية ، أمثال الحب ، والمساواة ، والايثار وغيرها ، متفرقة في جميع كتب التاريخ والسيرة النبوية المقدسة .

٣ - (موادعة المسلمين ليهود المدينة) :

والمشروع الثالث الذي قام به النبي ﷺ هو موادعة المسلمين ليهود المدينة تمشياً مع الاحكام الشرعية ومتطلبات الظروف الاجتماعية السياسية يومذاك ، ويتضمنها كتابه التالي :

« قال ابن اسحاق : وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والانصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي ﷺ ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم .

انهم امة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم (١) يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم (٢) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم ، يتعاقلون معاقلهم (٣) الاولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون

---

(١) الربعة : الحال التي جاء الاسلام وهم عليها .

(٢) العاني : الاسير .

(٣) المعاقل · الديات .

معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف ، على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .. وان المؤمنين لا يتركون مفرحاً (١) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ، وان لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، او ابتغى دسيعة (٢) ظلم ، او إثم ،او عدوان، او فساد بين المؤمنين،وان ايديهم عليه جميعاً ، ولو كان

(١) المفرح : المثقل بالديون والكثير العيال .

(٢) الدسيعة : العظيمة .

ولد احدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وانه من تبعنا من يهود ، فان له النصر والاسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وان سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً ، وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وان المؤمنين المتقين على احسن هدى وأقومه ، وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وانه من اعتبط (١) مؤمناً قتلا عن بينة ، فانه قود به إلا ان يرضى ولي المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم الاقيام عليه ، وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه

(١) اعتبطه : قتله بلا جناية منه توجب قتله .

الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، ان ينصر محدثا ولا يؤويه ، وانه من نصره او آواه ، فان عليه لعنـــة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد ﷺ .

وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وان يهود بني عوف أمـــة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ (١) إلا نفسه ، وأهل بيته ، وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني

---

(١) يوتغ : يهلك .

عوف ، وان ليهود بني الاوس مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ، وان البر دون الاثم ، وان موالي ثعلبة كأنفسهم، وان بطانة (١) يهود كأنفسهم ، وانه لايخرج منهم أحد إلا بأذن محمد ، وانه لاينحجز على ثار جرح ، وانه من فتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، إلا من ظلم ، وان الله على أبر هذا (٢) . وان على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم ، وان اليهود ينفقون

(١) بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته .

(٢) على ابر هذا : أي على الرضا به .

مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها ، وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله ﷺ ، وان الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وابره (١) وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه . فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك ، فانه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وان يهود الاوس ، مواليهم وانفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ، وان البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب إلا

---

(١) أي ان الله وحزبه المؤمنين على الرضا به .

على نفسه ، وان الله على اصدق ما في هذه الصحيفة وأبره وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم . وانه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم او اثم ، وان الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله ﷺ (١) ».

وهكذا على ضوء امثال هـــذه المخططات ، قام المسلمون باشادة المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة ..ومنه انبثقت الدولة الاسلامية .

* * *

وفي الختام : وداعاً ـ قارئ العزيز ـ ولعلي اعود اليك مرة ثانيـة حول الموضوع ذاته ، اعرضه بشكل اوسع واوضح ، وأكمله بتفاصيل حول الدولة الاسلامية..والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . والحمد لله رب العالمين .

النجف الاشرف عبدالهادي الفضلي

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية، (القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٧٥) الطبعة الثانية ، القسم الأول ص ١